بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة:29 ربيع أول 1432 هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى
وفق: 2011/03/04م www.al-msjd-alaqsa.com

نبضات من تبيان القرآن – في أول أمثال سورة البقرة – الحلقة 7

يقول عز وجل (مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لَا يَرْجِعُونَ * أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُم كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصَارِهِم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة2: 17–20).

(وَرَعْدٌ)

قلنا أنه عز وجل قد ضرب لنا مثلاً ببعثة الأنبياء والمرسلين وما أنزل إليهم من كتب سماوية فكانوا يعملون على إحياء قلوب العباد بعد موتها كعمل الماء النازل من السماء والذي يحيي الأرض بعد موتها، فالأنبياء والرسل والكتب السماوية إنما هم رحمة للعالمين، يقول عز وجل (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء21: 107)، ويروى عن أسامة بن زيد (كان ابن لبعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم يقضي، فأرسلتْ إليه أن يأتيها، فأرسل: (إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب). فأرسلتْ إليه فأقسمت عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبادة بن الصامت، فلما دخلنا، ناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، ونفسه تقلقل في صدره حسبته قال: كأنها شنة، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)) (البخاري) والانبياء والمرسلين حريصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، يقول عز وجل (لَقَدْ

جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة9: 128)، وعملهم التذكير بالعهد الذي بين الناس وبين الله، يقول عز وجل (فَذَكِّر إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) (الغاشية88: 21). فيبلغون رسالة الله بنصح وأمانة يقول عز وجل (أُبَلِّغُكُم رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الأعراف7: 58). وينذروهم ويحذروهم من سوء العاقبة ويدلوهم إلى الصراط المستقيم وسبل الهداية يقول عز وجل (قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الحج22: 49). ويقول عز وجل (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ). (الرعد13: 7)، فلذة الأنبياء والمرسلين الحقيقية أن يروا النور يدخل قلوب العباد وحذهم الشديد إنما يكون على كل نفس ماتت على غير دين الله، وها هو نبينا يبكى كي يخرج من يستطيع من نار جهنم، يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني} الآية وقال عيسى عليه السلام: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} فرفع يديه وقال "اللهم! أمتي أمتي وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله. فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال. وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) (مسلم). وعن أبي هريرة (زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه. فبكى وأبكى من حوله. فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي. واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي. فزوروا القبور. فإنها تذكر الموت.) (مسلم). وها هو صلى الله عليه وسلم يبكي بكاء رحمة لا بكاء سخط على فراق إبنه، فعن جابر بن عبد الله (أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف حتى أتى به النخل، فإذا هو بإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم في حجر أمه وهو يجود بنفسه، فذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم، فبكى، فقال له عبد الرحمن: يا رسول الله تبكي، ألم تنه عن البكاء؟! فقال: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه، وشق جيوب، ورنة الشيطان، وهذه رحمة، ومن لا يرحم لا

يرحم، يا إبراهيم لولا أنه قول حق، ووعد صادق، وسبيل مأتية، وأن آخرنا يلحق بأولنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تبكي العين، ويوجل القلب، ولا نقول ما يسخط الرب) (شرح السنة / البغوي / حسن)، وها هو صلى الله عليه وسلم يبكي بكاء رحمة على من قضى من أصحابه الأبرار الذين أخرجوا الدنيا من قلوبهم، فعن عايشة أم المسلمين (لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكى بكاء طويلا فلما رفع على السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها) (التمهيد / إبن عبد البر / حسن)، ثم أنظر لتعاطفه صلى الله عليه وسلم من أصحابه (عن ابن مسعود قال: لما قتل زيد بن حارثة، أبطأ أسامة عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فلم يأته. ثم جاءه بعد ذلك، فقام بين يدي النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فدمعت عيناه. فبكى رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فلما نزفت عبرته قال النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– لم أبطأت عنا ثم جئت تحزننا؟ قال: فلما كان الغد جاءه. فلما رآه النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– مقبلا قال: إني لاق منك اليوم، ما لقيت منك أمس فلما دنا دمعت عينه، فبكى رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–.) (الصحيح المسند)، وها هو آدم عليه الصلاة والسلام يبكي على من لم ينج من أمته من عذاب النار، فعن إبن حزم عنه صلى الله عليه وسلم (أنه رأى في سماء الدنيا آدم عليه السلام عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة وأنه إذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن يساره بكى فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تلك الأسودة فأخبر أنهم نسم بنيه وأن الذي عن يمينه منها نسم أهل الجنة فإذا نظر إليها ضحك وأن الذي عن شماله نسم أهل النار فإذا نظر إليها بكى إشفافا) (الأصول والفروع / حديث صحيح). فيا حبيبي يا رسول الله، يا من حن لك الخشب الأصم وبكى لبعدك عنه، يروي أنس بن مالك (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة ويسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: ابنوا لي منبرا فسوي له منبر –إنما كان عتبتين– فتحول من الخشبة إلى المنبر قال: فحنت إليه الخشبة حنين الواله قال أنس: وأنا في المسجد أسمع ذلك قال: فوالله ما زالت تحن حتى

نزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكنت، فبكى الحسن، وقال: يا معشر المسلمين! الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!) (دلائل النبوة / صحيح)، فكم نحن بشوق للقائك يا رسول الله ومجالستك ومكالمتك والتعلم منك، جمعنا الله بك في جنات الخلد في الفردوس الأعلى في الجنة. فأخلاق الأنبياء عالية وما أعلاها لا ينافسهم فيها أحد فهل هناك شهادة أعظم من شهادة الله عندما وصف لنا خلق الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله عز وجل (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم68: 4)، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها عندما سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت (كان خلقه القرآن) (صحيح الجامع)، فأعمال الرسل من نصح وإرشاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر وتحليل وتحريم وتلاوة لكلمات الله لا يمكن أن تتم بدون نطق هذه الكلمات ومن هنا كان مع مجيء الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية (الرعد)، فكلمات الأنبياء مع ما فيها من رحمة إلا أنها بوضوح الرعد يسمعها كل من عنده أداه سمع مهما كانت ضعيفة، وهذه دلالة على بلاغة الأنبياء والمرسلين ووضوح معاني كلماتهم، فهم لا يتكلمون بكلام مبهم أو صعب الدلالة، كلماتهم واضحة يفهمها سريع البديهة والبليد، فلا مجال لأن يدعي شخص يوم القيامة أمام الله أنه لم يفهم ما أخبر به النبي أو أنذر به الرسول أو نزل به الكتاب، فالأنبياء والمرسلين هم صفوة الناس وأكثرهم رحمة وشفقة على باقي الناس وأصبرهم على تبليغ رسالات الله وأفصحهم لساناً وأكثرهم معرفة وعلماً وأكثرهم تواضعاً في المعاملة والخطاب.

بعض من الخصال التي في أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

1. ما أوتي من الحكمة البالغة، وأُعطيَ من العلوم الجَمّة الباهرة، وهو أُمّيٌّ من أُمّةٍ أُمِّيّة، لم يقرأ كتاباً، ولا درس علماً، ولا صَحِب عالماً ولا مُعلِّماً، فأتى صلى الله عليه وسلم بما بَهَر العقول، وأذهَلَ الفِطَن، من إتقانِ ما أبان، وإحكام ما أَظهر، فلم يَعْثُر فيه بزلَل، في قولٍ أو عمل. وما هذه الفِطرة في الرسول صلى الله عليه وسلم، إلاّ من صَفاءِ جوهرِه، وخُلوصِ مَخبَرِه.

2. حِفظُه لِما أطلعه الله تعالى عليه، من قِصَص الانبياء مع الأمم، وأخبار العالم في الزمن الأقدم، حتى لم يَعزُب عنه منها صغير ولا كبير، ولا شَذَّ عنه منها قليلٌ ولا كثير، وهو لا يَضبطها بكتاب يَدْرسُهُ، ولا يَحفَظُها بعينٍ تَحرسُه، وما ذاك إلاّ من ذِهنٍ صحيح، وصدْر فسيح، وقلبٍ شَريح، وهذه الثلاثة آلةُ ما استُدِعَ من الرسالة، وحُمِّلَ من أعباء النبوة، فجديرٌ أن يكون بها مبعوثاً، وعلى القيام بها مَحثوثاً.
3. إحكامُه لما شَرَع بأظهرِ دليل، وبيانُه بأوضح تعليل، حتى لم يَخرُجْ عنه ما يوجبُه معقول، ولا دَخَلَ فيه ما تَدفَعُه العُقول، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((أوتيتُ جوامع الكَلِم، واختُصِرَ لي الكلامُ اختصاراً)). لأنه نبَّهَ بالقليل على الكثير، فكفَّ عن الإطالة، وكشَفض عن الجهالة، وما تيسَّر له ذلك، إلاّ وهو عليه مُعان، وإليه مُقاد.
4. ما أمَرَ به من محاسن الأخلاق، ودَعا إليه من مُستحسَن الآداب، وحَثَّ عليه من صِلةِ الأرحام، ونَدَبَ إليه من التعطُّفِ على الضعفاء والأيتام. ثم ما نهى عنه من التباغُض والتحاسُد، وكفَّ عنه من التقاطع والتباغُد، لتكونَ الفضائلُ فيهم أكثر، ومحاسِنُ الأخلاق بينهم أنشَر، ومُستحسَنُ الآداب عليهم أظهر، ويكونوا إلى الخير أسرع، ومن الشرِّ أمنَع. فيتحقَّقُ فيهم قولُ الله تعالى: (كنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنّاس، تأمُرون بالمعروف، وتَنْهَوْنَ عن المنكر). فلَزِموا أوامرَه، واتَّقوا زواجرَه، فتكاملَ بهم صَلاحُ دينهم ودُنياهم، حتى عَزَّ بهم الإسلامُ بعدَ ضعفِه، وذلَّ بهم الشِّركُ بعد عِزِّه، فصاروا أئمةً أبراراً، وقادةً أخياراً.
5. وُضوحُ جوابه إذا سُئل، وظُهورُ حِجاجه إذا جودِل، لا يَحْصُرُه عِيّ، ولا يَقطَعُه عَجْز، ولا يُعارِضُه خَصْمٌ في جدال، إلاّ كان جوابُه أوضح، وحِجاجُه أرجح.
6. أنه محفوظُ اللسان من تحريفٍ في قول، واسترسال في خبرٍ يكون إلى الكذب منسوباً، وللصدق مُجانباً، فإنه فإنه لم يَزَلْ مشهوراً بالصدق في خَبَرِه ناشِئاً وكبيراً، حتى صار بالصِّدق مَرقوماً، وبالأمانة مَوسوم. وكانت قريش بأَسْرِها تتيقَّنُ صِدقَه قبل الإسلام، فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه، فمنهم من كذَّبه حَسَداً، ومنهم من كذَّبه عناداً، ومنهم من كذَّبه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً. ولو حَفِظوا عليه كِذبةً نادرةً في غير الرسالة، لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة. ومن لَزِمَ الصدقَ في صِغَره، كان له في الكبر ألزَم، ومن عُصِمَ منه في حقِّ نفسه، كان في حُقوق الله تعالى أعصَم. وحَسْبُك بهذا دَفْعاً لجاحِد، ورَدّاً لمعاند.
7. تَحريرُ كلامه في التوخّي به إبّانَ حاجتِه، والاقتصارُ منه على قَدْرِ كفايتِه، فلا يَسترسِلُ فيه هَذَراً، ولا يُحْجِمُ عنه حَصَراً، وهو فيما عدا حالتيْ الحاجة والكِفاية، أجملُ الناسِ صَمْتاً، وأحسنَهُم سَمْتاً، ولذلك حُفِظَ كلامُه حتى لم يَخْتَل، وظَهَرَ رَوْنَقُهُ حتى لم يَعْتَلّ، واستَعذَبَتْه الأفواه، حتى بقي محفوظاً في القلوب، ومُدوَّناً في الكُتُب.
8. أنه أفصحُ الناس لِساناً، وأوضَحُهم بياناً، وأوجَزُهم كلاماً، واجْزَلُهم ألفاظاً، وأصحُّهم مَعانيَ، لا يَظهَرُ فيه هُجْنَةُ التكلُّف، ولا يَتخَلَّله فيْهَقَةُ التَّعسُّف، وقد دُوِّنَ كثيرٌ من جوامع كَلِمه ومن كلامه الذي لا يُشاكَلُ في فصاحته وبلاغته، ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء، ولا يَبلُغُه استقصاء. ولو مُزِجَ كلامُه بغيره لتميَّز

بأسلوبه، ولظَهَر فيه آثارُ التنافر، فلم يَلتبس حَقُّه من باطِله، ولَبانَ صِدقُه من كذبه. هذا، ولم يكن مُتعاطِياً للبلاغة، ولا مُخالِطاً لأهله من خُطَباءَ أو شُعراءَ أو فُصحاء، وإنما هو من غرائز فِطْرَته، وبِدايةِ جِبلَّتِه، وما ذاك إلاّ لِغايةٍ تُراد، وحادثةٍ تُشاد.

-- يتبع بإذن الله --

www.al-msjd-alaqsa.com